## Vatikiotis, P. J., **Conflict in the Middle East,** (London: George Allen & Unwin Co., 1971).

غالبا ما يذكرني الكتاب بالجراح الذي لانه نظر في داخل جسدي صار يعتقد ان باستطاعته ان يخبرني ان لا شيء يدعو الى القلق في هذه الحياة . ولو ان الدكتور فاتيكيوتس ، استاذ العلوم السياسية في كلية الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن ، حصر مجال دراسته بكونه مؤرخ احداث لقدم لنا مساهمة يشكر عليها . وفي الحقيقة انه يقدم لنا معلومات مفيدة ، مشكوكا بها في بعض الاحيان ، عن التطورات الاخيرة ، خاصة حول بنى منظمات المقاومة وتشرذمها وقادتها ، وكذلك يقدم كتابه صورة محزنة حقا للصراعات والانشقاقات والمؤامرات والانقلابات والضعفات وظهور القبلية والعصبوية وغير ذلك من آلاف الامراض التي يرددها العرب يوميا كما تتحدث عنها صحفهم دائما . ولا جديد في كل ذلك سوى ان فاتيكيوتس جمعها في كتاب واحد . ومع هذا فان المادة مفيدة تماما وقليلون هم الذين يمكن ان يعترضوا على صحة الحقائق العميقة من نوع « تركية وايران ليستا عربيتين » . ان كتاب «الصراع في الشرق الاوسط» لا يعالج صراعا معينا بقدر ما يتطرق الى مجموعة من الخلافات والنزاعات ، بما في ذلك عدوان ١٩٦٧ . والصورة المهتزة التي يعرضها تختفي كليا عندما يورد امورا لا علاقة لها بالموضوع عن تركية وايران .

الى هنا كل شيء يسير على ما يرام ، ولكن المؤلف يقع في الفخ عندما يتمادى في مغامرته ويحاول تقليد دور الواعظ الحكيم ، فيقول ان الاسلام هومشكلة العرب ، التي هي عبارة عن اعتماد الرسول على السيف ، واغتصاب الخلافة والقيود التي فرضتها الشريعة والتي كانت مصدر الحكم العسكري والانقلابات وتجزؤ العالم العربي . فجأة يتذكر المؤلف ان تركية وايران مسلمتان . وهنا ايضا يرتكب المزيد من الاخطاء عندما يقول ان الاتراك والفرس ليسوا مسلمين بشكل صحيح . انهم بعيدون عن « عروبة الاسلام » و « الصعوبات السياسية التي يواجهها الاسلام ، ان لم نقل اخفاقه » . وهكذا بعد ان استنتج ان المشكلة بالنسبة للعرب هي في كونهم مسلمين ، قام بحركة بهلوانية فرأى ان المشكلة بالنسبة لهذا الدين هي في عروبته .

من هنا نرى ان الكتاب لا يسيء الى شعورالعرب والمسلمين فحسب ، فجميع علماء السياسة سيكتشفون ان محاولاته في التعصب الديني قد عفا عليها الزمن ، ( لا يعتبر الاقتصاد عاملا له علاقة)، وادعاؤه بأن تركية اصبحت متمدنة ، او كما يعبر عنها هو « اوروبية » ، عندما تخلت عن الاسلام ، هو ايضا ادعاء ساذج . وهناك العديد من الحقائق التي تدحض رأيه ولكنه يعرف كيف يزوغ من وجه المشاكل التي يواجهها . فبكل لباقة احال مسألة الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية للخبراء المختصين بها لمعالجتها . وعندما قيل له ان المشاكل التي يعاني منها العرب ليست وقفا عليهم وحدهم بل ان غيرهم من الشعوب يعاني منها — الانقلابات العسكرية في اميركة اللاتينية اكثر منها في العالم العربي ، والنزاعات الدينية الدموية تحدث بشكل اكثر في ايرلنده ، وافغانستان دولة اسلامية ومع ذلك فانها من اكثر الدول استقرارا ، والحبشة تعتبر من اقدم الدول المسيحية ومع ذلك لم تصبح في مستوى الدول الاوروبية في مضمار التقدم — يرد بكل بساطة « انني اهتم بالوصف ... وليس بالمقارنة » .

لذا كان على فاتيكيوتس ، ضمن افقه المحدود ، ان يتبع المنهج الاسهل الذي يعتمد على المثل القائل « لم تبن رومه في يوم واحد » . والواقع لم يكن هناك اية دولة عربية مستقلة في ١٩١٦ ، كما ان عددا من هذه الدول لم ينل سيادته واستقلاله سوى منذ اشهر خلت . وهنا يرتكب المؤلف الخطأ الذي عادة ما يرتكبه غيره من المستشرقين وهو التطلع شمالا الى اوروبه بدلا من آسية وافريقية ، ومقارنة كل شيء بما يجري في لندن وباريس بدلا من نيجيرية او باكستان . وعلى طريقتهم ، مضى يشيد هرم سلبياته ، فالثورات العربية ليست ثورات والجمهوريات العربية ليست جمهوريات ، واصلاحات عبد الناصر ليست اصلاحات ، وهلم جرا . وبالاضافة الى ضمير الـ ( انا ) نراه مغرما باستعمال كلمة « ما يسمى » : ما يسمى اشتراكية عربية ، ما يسمى دول عربية تقدمية . وما يفوت عن بال فاتيكيوتس